إلى الرجل الذي لم ير ظله

بقلم **عمر شحادة**
رئيس مركز الهدف للإعلام

ترقرقت وتحجرت في مقلة العين دمعه، فنظرت خلسة إلى صديقي الذي يجلس جانبي فلمحت مثيلتها قبل ان يشيح في سرعة بوجهه عني كي لا أراها، فيما كانت كريمته " ام صخر " من وقع عليها خيار الاسرة الكريمة لتلقي كلمتها، تنثر دررها ومكنوناتها الإنسانية الناصعة التي باحت بها عن اب فلسطيني مكافح جميل اعطى وما استبقى سوى وصية الشهداء، امام جمهور احتشد " في المقاطعة " فسرت كلماتها كالكهرباء تهز وجدان حضور واجم تجشم بمعظمه القدوم إلى " مكان رسمي " لسبب واحد، هو احتراماً وتقديراً وإجلالاً لمناضل صخري صادق صدوق، في اربعين رحيله، عرضاً دخلت مكتبه " امانة سر اللجنة المركزية لحركة فتح " وانا في مقتبل العمر على مربع الجامعة العربية في بيروت، لترتيب لقاء مع وفد سياسي زائر، فهالني سلوك رجل يبعث على الثقة من النظرة الأولى بقميص وبنطال "كاكي " بسيط، وحائط مكتب تتدلى عليه صورة للقائد الفيتنامي الاسطوري " هوشي منه "، ومن يومها دخل قلبي .

بعد حصار بيروت 1982، وخروج وتشتت قوات الثورة في أرجاء الأرض، شاءت الاقدار أن نلتقي معاً في مقر سفارة دولة فلسطين في موسكو ، وذلك بعد إعلان الدولة الفلسطينية في الجزائر عام 1988 .

على عكس كثير من سعادة " السفراء " لم يسع صخر الذي عين سفيراً لفلسطين لتسويق نفسه على حساب قضية شعبه في عاصمة

دولة عظمى كانت تتصارع بين جوانحها وتتسابق سياقات الدولة والثورة، الأمر الذي جعله يدفع ثمن مواقفه المبدئية ومهارته الثورية.
هناك بدأت معرفتي المباشرة بهذا الرجل، الذي كان يخصني او يستحسن ذائقتي بالاستماع لأشعاره النازفة. غادر صخر حبش السفارة إلى تونس، وأنا تركتها عشية انهيار الاتحاد السوفيتي، لتجمعنا الاقدار من جديد في فلسطين. كان بحسه الثقافي وحدسه السياسي وطينته الانسانية والشعبية يسبق اقرانه، وكأنه كان يسمع دبيب خطى الانتفاضة، فاحتضن في دار الكرامة اجتماعات القيادة الوطنية والإسلامية الموفدة الأسبوعية، واجمعت هذه القوى على أن يقود أبو نزار اجتماعاتها وفعالياتها المتواصلة.
بقانون المحبة و" لازم تزبط " وبطائر الأمل الساكن فيه، بدأت تلك الاجتماعات التي ضمت الامناء العامين وممثلي فصائل المنظمة وحماس والجهاد الإسلامي، وتحولت الإجتماعات وبحضورصخر، مروان البرغوثي حسن يوسف احمد سعدات لتقود انتفاضة الاقصى، التي بفضلها انتزعت منظمة التحرير الفلسطينية وفي سابقة تاريخية من مجلس الامن الدولي قراره رقم " 1397 " في شباط 2002 الذي يقر باقامة الدولة المستقلة على الاراضي الفلسطينية المحتلة عام 1967 وعاصمتها القدس .
لم تغريه مفاتن السلطة وامتيازاتها ، ولم يفاخر بأنه قاد عملياً ووجه الانتفاضة عبر قيادة اطر القوى الوطنية والإسلامية والأهلية طيلة مسيرة الانتفاضة، وبأنه أول من اعتقل من آلة الحرب التي اجتاحت رام الله لوأدها ، لأن صخر حبش كان دوماً وجهه نحو الشمس، ولعلي على صواب عندما اقول : لو حظيت ثورتنا بعدد اكبر من امثاله، لما كان وضعنا على ماهو عليه .